ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Economic Activity of French Community in Aleppo during the Nineteenth Century AD

Mohammed Hussein Ahmed

General Directorate of Education / Kirkuk Governorate

Taha Khalaf Muhammad

Tikrit University / College of Education for Humanities / Department of History

Ahmed Hussein Abed

University of Tikrit / College of Education for Humanities

* *Corresponding author: E-mail* :
Mh230799ped@st.tu.edu.iq
٠٧٨٠٦٤٣١٧٦٢

***Keywords*:**
French community
Aleppo
Ottoman-French rapprochement
Communities.

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 1 Sept 2024
Received in revised form 25 Nov 2024
Accepted 2 Dec 2024
Final Proofreading 2 Mar 2025
Available online 3 Mar 2025
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

This research tackles the exploration of the economic activities of French community in Aleppo during the nineteenth century. It provides insights into the economic contributions of this community and its influence on societal dynamics. Furthermore, it elucidates the underlying factors that facilitated the expansion of its activities, particularly in the context of the privileges conferred by the Ottoman state. Additionally, it examines the strategic policies employed by the community to secure substantial gains, positioning it as the most dynamic entity in comparison to other foreign communities.

© 2025 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.32.3.8.2025.23

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

النشاط الاقتصادي للجالية الفرنسية في ولاية حلب في القرن التاسع عشر الميلادي

محمد حسين احمد / المديرية العامة للتربية /محافظة كركوك
طه خلف محمد/ جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الانسانية/ قسم التاريخ
احمد حسين عبد / جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الانسانية/ قسم التاريخ

الخلاصة:

عدت الجالية الفرنسية في ولاية حلب من اهم الجاليات الاوربية التي ادت دورا نشيطا في المجالات الاقتصادية كافة التجارية ، الزراعية ، والصناعية، ولاسيما انها كانت من بين الجاليات التي قدمت الى الولاية في ظل التقارب العثماني الفرنسي اثر الجهود المبذولة من السلطان العثماني سليمان القانوني (١٥٢٠_ ١٥٦٦) والملك الفرنسي فرانسوا الاول (Francois1) (١٥١٥_١٥٤٧) ، الذي منحها الحرية التامة في ممارسة نشاطها الاقتصادي، فضلا عن الاستقرار في الولاية .

عاشت الجالية بعد تلك التطورات مرحلة نمو اقتصادي، اذ اصبح لها مكانة تجارية رفيعة ادت الى نتائج اقتصادية ملموسة للدولتين العثمانية – الفرنسية، ولاسيما ان ولاية حلب امتلكت من المقومات الطبيعية والبشرية ما جعلها الولاية الثالثة من بين الولايات العثمانية في مكانتها الاقتصادية بعد استانبول وازمير.

إن موضوع نشاط الجالية الفرنسية الاقتصادي في ولاية حلب في القرن التاسع عشر الميلادي اهميته، اذ يمكن عن طريقه معرفة الدور الاقتصادي الذي ادته تلك الجالية واثره في حياة المجتمع، ويبين الاسباب الحقيقة التي مكنت تلك الجالية من التوسع في انشطتها في ظل ما منحت من امتيازات من الدولة العثمانية، فضلا عن السياسة التي اتبعتها الجالية من اجل الحصول على مكاسب كبيرة جعلتها الجالية الاكثر نشاطا اذا ما قورنت بباقي الجاليات الاجنبية.

الكلمات المفتاحية : الجالية الفرنسية، حلب ، التقارب العثماني الفرنسي، الجاليات .

المقدمة :

يعد موضوع الجاليات من الموضوعات الحيوية في تاريخ الشعوب، لأنه جزء لا يتجزأ من تاريخها ولاسيما اذا كانت من الجاليات النشطة والتي وفدت الى تلك المناطق لأسباب شتى منها دينيه، سياسية واقتصاديه، فضلا عن تسليط الضوء على ماهية اهداف الجالية وتطلعاتها ولاسيما ان ظهور فئة اجتماعية جديدة في تلك الولاية ادت الى ظهور اثار اقتصادية على مجتمعها ومن هنا جاء اختيار موضوع البحث **(النشاط الاقتصادي للجالية الفرنسية في ولاية حلب في القرن التاسع عشر الميلادي)**

قسم البحث على محاور عدة، إذ تناول المحور الاول دور الجالية في التجارة، بينما اقتصر الموضوع الثاني على دور الجالية في الزراعة، والمحور الثالث تكلم عن دور الجالية في الصناعة.

اعتمد الباحث في دراسته على مصادر متنوعة من اجنبية (انجليزية، تركية، فرنسية)، فضلا عن المصادر العربية التي عززت بوثائق غير المنشورة من الارشيف العثماني في استانبول .

اولا/ دور الجالية في التجارة .

تعرض النشاط الاقتصادي في ولايات بلاد الشام في النصف الاول من القرن التاسع عشر الميلادي الى منافسة بين الدول الاوربية، بغية فرض سيطرتها على اسواقه وموانئه التجارية واستخدامها في تجارتها، والتحكم بنشاطها الاقتصادي، وقد رافق ذلك تبادل الادوار بين تلك الدول في فرض الهيمنة عليها منذ اندلاع الحروب النابليونية[١] (Napoleonic Wars) في القارة الاوربية (احمد ا.، د،ت، صفحة ٥٢؛ حسين، ١٩١٤، الصفحات ٥٥-٧٠؛ (Esaile, 2001) .

ترتب على تلك الحروب تدهورا واضحا في احوال المجتمع الحلبي التجارية ولاسيما الجالية الفرنسية، بعد رحيل عدد من مؤسساتها التجارية، والتي كانت ترعى نشاط تجارها المقيمين في تلك الولاية، إذ لم يبقَ منها سوى (٣) مؤسسات تجارية عام ١٨١٢ (فيرت، ٢٠٠٧، الصفحات ٦٣٥-٦٣٦)، وذلك ما اكده القنصل الفرنسي العام جان روسو(Jan Russo) (١٨٠٨- ١٨١٤) في احد تقاريره التي رفعها الى حكومته من العام نفسه، عندما بين فيه اثر استطلاع له مدى ما وصل اليه تجار فرنسا المقيمين في حلب من احباط وانعدام الرغبة في البقاء في الولاية، بعد ان تعثر نشاطهم التجاري جراء تلك الحروب، ولم يتعلق الامر بتجار فرنسا بشكل خاص، بل التجار الاوربيين عامة، اذ بلغ عدد التجار الاوربيين الذين فضلوا البقاء (١٣) تاجرا اوربيا (٣) فرنسيين و(٥) ايطاليين و(٣) نمساويين و(٢) توسكانيين، وكانت بريطانيا الدولة الاكثر تضررا، اذ تقلص حجم تواجد رعاياها الى وجود قنصل عام فقط، وكان يدعى جون باركر (John Barker) الذي شغل في الوقت نفسه الممثل الاخير لشركة المشرق (دانيال و ماسترز، ٢٠٠٤، الصفحات ١٩٨-١٩٩).

الا ان ذلك لا يعني ان تجارة حلب قد انعدمت بل وجد فيها نشاط تجاري كان للجالية الفرنسية دور واضح فيه، لاسيما بعد ان اعتمدت تلك الولاية في تجارتها على الطرق البرية مع ولايات عثمانية عدة ، اهمها (بغداد، مصر، واليمن) (حسن، ٢٠٢٤، صفحة ١٤٧)، والتي كانت الواردات تشكل نسبة كبيرة منها اذ شملت (اقمشة وتبغ وتوابل وبن)، فضلا عن نشاط تجاري مع الدول الاوربية بنسبة ضئيلة بسبب خطورة المرور في البحار في تلك المدة اثر تلك الحروب، اذ شملت وارداتها من تلك الدول على (السكر ، الاقمشة الحريرية ، والصابون)، والتي صُدر اغلبها من ولاية حلب الى الولايات العثمانية ، والتي قل حجمها بنسبة كبيرة عما كان عليه قبل تلك الحروب، فعلى سبيل المثال ان المبادلات لتجارية بين حلب وفرنسا قد شهدت تقلصا كبيرا في ميزانها التجاري العام في عام ١٨١٤ ، اذ وصل معدل التجارة بينهما

---

(١) حروب شنها نابليون بونابرت في ١٦ ايار عام ١٨٠٣ على الدول الاوربية، والتي بدأت بعد فشل صلح اميان في الحفاظ على السلام بين بريطانيا وفرنسا، ومحاولة فرنسا فرض سيطرتها على البحار، انتهت بهزيمته في حزيران عام ١٨١٥ في معركة واترلو(Waterloo)(Esaile, 2001)

الى خمس عما كانا عليه في نهاية القرن الثامن عشر (كرد، ١٩٧١، صفحة ج٤ ٢٣٠؛ دانيال و ماسترز، ٢٠٠٤، الصفحات ١٩٨-٢٠٠) .

وبعد نهاية تلك الحروب حصلت فرنسا على مكاسب اقتصادية اتاحت لها التحكم بالنشاط التجاري في تلك الولاية (احمد ا.، د.ت، صفحة ٥٢) ، في ظل الامتيازات التي حصلت عليها من معاهدات نظمت تجارتها اهمها معاهدة عام ١٨٠٢ واخرى عام ١٨١٨ وما اتبعته الدولة العثمانية من سياسة تعسف تجاه التجار الحلبيين، عندما فرضت عليهم ضرائب عالية اضطرتهم الى المتاجرة بأسماء تجار فرنسيين هربا من تلك الضرائب، التي بلغت احيانا من (١٨ -٢١%) في حين فرض على التجار الفرنسيين نسبة(٤%) مما منحهم نفوذا تجاريا واسعا في تلك الولاية (كرد، ١٩٧١، صفحة ٢٣٠؛ صبحي، ١٩٩٧، الصفحات ١٤٧-١٥٥).

شهد نشاط تجار ولاية حلب الفرنسيين مرحلة نمو تجاري اثر تلك الامتيازات، ولاسيما بعد الزيادة التي حصلت في عديدهم، بعد ان انضم اليهم عدد من سكان الولاية مما اسهم في رفع مستوى نشاطهم التجاري، فضلا عما طرئ على بنية المدينة من تطورات في عديد الاسواق والمحلات التجارية فيها في اوائل القرن التاسع عشر اذ وصل عددها الى(٥٦) سوقا و(٥٣) قيسرية (Fulya Düvenc, 2013, s. 79)

الا ان ذلك النشاط كثيرا ما اعترضته مشكلات داخلية منها تمرد ضد والي حلب خورشيد باشا[١]وثورات الانكشاريين (١٨١٤-١٨٢٦)، وكوارث طبيعية تمثلت بالزلازل في الاعوام (١٨٢٢، و١٨٢٧) (كرد، ١٩٧١، صفحة ٢٣٠)، اذ اصبحت تجارة حلب اثر تلك الظروف ضئيلة نسبيا، وذلك ما اكده احد الفرنسيين الذين قدموا اليها عام ١٨٣١ ويدعى بوجولاد (Poujoulad) عندما وصف مراحل النشاط التجاري الذي مرت به تلك الولاية قائلا: **((انها كانت قبل ثلاثين سنة بعد القاهرة والاستانة اهم بلدة في تركيا وقد كانت مخزنا هاما لتجارة الهند، والعجم، واوربا فكان يذهب اربعة قوافل في السنة منها الى اشهر البلدان وتوزع بها البضائع المتنوعة لذلك كانوا يسمونها تدمر الجديدة))** نقلا عن: (علي، ١٩٢٣، صفحة ١٣٩) .

يتضح من ذلك ان حلب كانت قد شهدت تحولات كبيرة في نشاطها التجاري اثرت في المبادلات التجارية كما ونوعا، وجزما ان تلك التحولات جاءت نتيجة ما مرت به الولاية من كوارث طبيعية وحروب واضطرابات داخلية ذكرت سابقا والتي بدأت مع بداية القرن التاسع عشر والتي اثرت بشكل مباشر في نشاط الجالية الفرنسية.

([١]) ولد في ١٧٥٨ في مدينة تفليس بجورجيا، ويعود في نسبه الى اصول كرجية عين واليا على حلب في ١اذار عام ١٨١٨، شهدت ولايته على حلب ثورة في ٢٣ تشرين الاول عام ١٨١٩، قادها الإنكشاريون ممن كان ناقما على حكمه فضلا عن الاشراف من حلب (ابراهام، ٢٠٠٨))

اما في الاعوام التي سيطر فيها محمد علي على بلاد الشام (١٨٣١-١٨٤٠)، فقد شهدت ولاياته تعافيا في نشاطها التجاري الى حد ما، والتي اثمرت عن الزيادة في الصادرات اذ بلغت حوالي (٣) ارباع تجارة بلاد الشام بعد ان اتبع سياسة الانفتاح مع الغرب، الا ان حلب عاشت ظروفا اقتصادية بمعزل عن تلك التطورات، بعد تعرضها لانتكاسة اقتصادية على اثر تجدد الزلازل وانتشار الاوبئة والامراض ولاسيما الطاعون عام ١٨٣٢ ، والذي انتشر مرة ثانية عام ١٨٣٧، إذ صاحبه رحيل عدد من التجار خشية العدوى (الرؤوف، ١٩٨٧، الصفحات ٢١٨-٢١٩) .

في العقد الاخير من النصف الاول من القرن التاسع عشر بدأت فرنسا تزاحم بريطانيا في تجارتها مع حلب عن طريق فتح بيوت تجارية تتابع نشاطها التجاري، ففي عام ١٨٤١ بدأ التجار الفرنسيون في حلب بفتح تلك البيوتات وكان من بينهم التاجر فورتينة (Fortina)، الذي اشرف على تنظيم النشاط التجاري بين حلب وفرنسا (جبر،بيداء،علاوي،شمخي، ٢٠١٦، الصفحات ٣٠٢-٣٠٣)، الا ان تلك الانشطة سرعان ما واجهتها عقبة صراعات طائفية بين النصارى والمسلمين عام ١٨٥٠ الذي اوصل تجارة ولاية حلب الى التدهور والانحدار، مما اجبر اهالي تلك الولاية الى الانتقال للمتاجرة خارجها (يوسف، ١٩٨٩، الصفحات ج٢-٩).

اعتمد التجار الفرنسيون في مبادلاتهم التجارية على السلع الواردة من دولتهم في نشاطهم التجاري واهمها السلع المصنعة ومنها على سبيل المثال لا الحصر (الادوية ، السكر ، القهوة والادوات الحديدية والنحاسية) (الرؤوف، ١٩٨٧، صفحة ٢١٨) ، بينما كانت المحاصيل الزراعية والمنسوجات ابرز ما اعتمده التجار الفرنسيين في صادراتهم اليها، ومنها الحرير والحبوب والقطن والصوف والتبغ والفواكه (شارل، ١٩٩٠، صفحة ٢٤٢)، وكان للقطن والصوف والحرير اهمية مميزة من بين تلك المنتجات لما وفرته من مصدر دخل فردي لهم (Karakose, 2017, p. 290).

راجت تجارة تلك السلع عندما ظهرت نهضة صناعية حديثة انتجت سفنا متطورة اخذت تتردد الى ميناء الاسكندرونة، حاملة اعدادا من التجار الفرنسيين لاستيرادها من الاسواق الحلبية، اذ صاحب ذلك انفتاح تجارة الولايات العثمانية مع فرنسا الامر الذي شجع تجار حلب الاصليين للسفر الى فرنسا وتأسيس وكالات تجارية فيها، وتحديدا في مدينة مرسيليا (Marseille) ، اذ شكلوا حلقة وصل بين التجار الفرنسيين وتجار حلب (فؤاد و عثمان، ١٩٩٣،، الصفحات ج١ ٥٧-٥٨) ، نتج عنها زيادة في كمية

الصادرات الحلبية الى فرنسا والتي كانت تصل الى ميناء مرسيليا[١]،عن طريق البحر المتوسط (مبروك، ٢٠٢٠، صفحة ١٣٧؛ محمد ا.، ٢٠٢٠، الصفحات ٣٨٥-٣٨٦) .

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي شهدت حلب تباينا في كميات السلع المصدرة والواردة ولاسيما بعد التطورات التي تمثلت بالحروب ما رافقها من نتائج ومنها حرب القرم[٢] التي اثرت في مستوى الانتاج في ولاية حلب، بعد ان اعتمدت فرنسا على المحاصيل المنتجة فيها كمادة اولية في الصناعة وسوق لتصريف منتجاتها (شارل، ١٩٩٠، الصفحات ٤٥٨-٤٥٩) .

في عام ١٨٦٠ شهد اقتصاد حلب ازدهارا ملموسا في نشاطها التجاري، بعد ان عاشت دمشق اضطرابات داخلية ذلك العام، اذ عطلت تجارة الحرير في تلك الولاية الذي شكل المورد الاساس للصناعات الحرفية فيها، إذ بدأت حلب بإنتاج تلك السلعة وتصديرها الى مدينة ليون (Lyon) الفرنسية، ناهيك عن المنتجات الحرفية والصناعية الاخرى، التي ازدهرت فيها ايضا، اثر الضرر الذي اصاب انتاج تلك السلع في دمشق بعد هجرة اليد العاملة ولاسيما النصارى الذين شكلوا النسبة الاكبر ، فقد ازداد عدد انوال الاقمشة الحريرية في حلب عام ١٨٦١ من (٤٠٠٠) نول الى (٦٠٠٠) نول، فضلا عن محصول السمسم والفستق الحلبي، ولم تكن تلك الاسباب التي ذكرت اساس ازدهار تجارة حلب تلك المدة فقط، بل كانت الطريقة التي اتبعها التجار الاوربيون في المتاجرة مع دمشق اضرت بهم بنسبة كبيرة، عندما باعوا السلع المصنعة المستوردة الى عملائهم بالدين ، اذ استغل عملاؤهم تلك الاضطرابات للتهرب من سداد ما بذممهم من ديون مما اجبر عددا من الشركات التجارية للانسحاب منها مما اتاح لتجار التجزئة ممن سكن في مرسيليا بشحن السلع المصنعة الى شركائهم في حلب (فيرت، ٢٠٠٧، الصفحات ج٢ ٦٥٢-٦٦١) .

في الاعوام التي تلت فتح قناة السويس عام ١٨٦٩ عانت حلب من تدني كبير في مستوى المبادلات التجارية بعد ان قلت اسعار المحاصيل الزراعية التي انتجتها، عندما قلت تكلفة نقل تلك السلع عن طريق تلك القناة وبيعها في فرنسا بأسعار زهيدة ولاسيما الحرير والسمسم ، اذ تعثر نشاط حلب التجاري في

---

(١) ميناء على البحر المتوسط كان له دور كبير في الانشطة الاقتصادية لفرنسا، زادت اهميته للدولة العثمانية في القرن التاسع عشر ابان الحروب النابليونية، والتي ادت الى قطع علاقة فرنسا اقتصاديا مع اغلب الدول الاوربية، بينما حافظت الدولة العثمانية على علاقتها التجارية معها بعد ان عدت تلك الحروب شأن داخلي محمد ا.، ٢٠٢٠، الصفحات ٣٨٥-٣٨٦)

(٢) نشبت بين الدولة العثمانية وروسيا في ٤حزيران عام ١٨٥٣، بعد ان ارادت روسيا فرض حمايتها على الارثوذوكس اسوة بما حصلت عليه فرنسا من حماية الكاثوليك، وانضمت اليها فرنسا وبريطانيا في اذار عام ١٨٥٤، انتهت عام ١٨٥٦ بتوقيع معاهدة باريس (A.Howard, 2017, pp. 380-386)

التصدير بنسبة كبيرة اثر ذلك، فضلا عن قلة الاستيراد وذلك ما اكده القنصل البريطاني سكين(Skin)(١٨٥٥-١٨٧٦) في احد تقاريره عام ١٨٧٦ من تدهور في تجارة حلب ولاسيما الاستيراد الذي عجز عن سد حاجة سكانها بعد ان فقدت ميزة الترانزيت اثر فتح منافذ لتدفق السلع الاوربية الى اسيا، والمقصود هنا قناة السويس متوقعا ان تجارة حلب ستبقى في طور الاحتضار (فيرت، ٢٠٠٧، الصفحات ج٢ ٦٩٦-٦٧١) .

ان اللافت للنظر في نشاط هؤلاء التجار امتاز بالتبيان تجاه ما قاموا به من انشطة اقتصادية ومدى اثره على واقع الولاية الاقتصادي، فعلى سبيل المثال هناك من قدم مساعدة للدولة العثمانية، على غرار ما قام به ريزره فكروز(Rezre Fecrose)، الذي اقرض صندوق المال في حلب عندما عانت من ضائق مالية، مما بين طبيعة العلاقات الايجابية بين الدولة العثمانية وفرنسا (Osmanli Arsivi,HR.MKT345/3) لدرجة ان الدولة العثمانية منحته وساما عاليا من الطبقة الخامسة اكراما منها على ما قام به من عمل لصالح الولاية (O.A,HR.MKT/354/46) ، بينما وجد عدد من اعضاء الجالية من كان سببا في الاضرار بأملاك ولاية حلب عندما استأجروها وظهر ذلك في الشكوى التي قدمها عدد من سكان حلب الى الوالي العثماني ضد القنصل الفرنسي ووكيل شركة التبغ المدعو (غارلي) Garly في اذار عام ١٨٧٨ (O.A,HR.MKT.833) .

ثانيا/ دور الجالية في الزراعة .

كانت الزراعة في ولاية حلب موردا اساسيا للثروة في القرن التاسع عشر الميلادي، اذ اشتهرت محاصيلها بالتنوع واهمها(القطن، الحبوب، التبغ، التوت، وغيرها) وكان لزراعة التوت اهمية عندما استخدمت اوراقه لجذب ديدان الحرير الذي استخدم في غزل الخيوط التي راجت تجارتها في ذلك القرن، اذ عد مصدرا مهما للصادرات (الكريم، ١٩٦١، صفحة ١٥١) .

الا ان نشاطها الزراعي كثيرا ما اصطدم بواقع الحكم العثماني، الذي اهمل الفلاح الحلبي، ولاسيما في العقود الثلاثة الاوائل من القرن التاسع عشر، وقد وصف ذلك مقيم فرنسي عندما وصف ما مرت به بلاد الشام من اضمحلال نتيجة سيطرة الباشوات والاقطاع على الاراضي الزراعية، بعد ان فرضوا سطوتهم على مناطق واسعة، وبدؤوا بفرض بدلات الايجار على الأفراد بالمزاد واعطاء مساحات من الاراضي الاميرية للعساكر المنصورة (محمد س.، ١٩٩٠، صفحة ١٤٠) .

في الضد اولت الدول الاوربية اهمية خاصة للزراعة في تلك الولاية بعد ان شهد واقع الفلاح ترديا في ظل الاهمال المستمر من الدولة العثمانية ، مستغلة ذلك ابشع استغلال ولاسيما فرنسا، التي كانت بأمس الحاجة الى تنشيط صناعتها عن طريق المواد الاولية التي وجدت في تلك الولاية فضلا عن

الاسواق التي امتلكتها حلب والتي عدت سوقا لتصريف فائض منتجاتها، ولاسيما الحرير والقطن، وغيرها من المحاصيل النقدية التي اكتسبت اهمية خاصة لديها ، لذا سعت الى استغلال ذلك عن طريق رعاياها ممن وظفتهم للتدخل في نشاط الفلاح الحلبي بما خدم مصالحها الاقتصادية، ولاسيما في تحسين نوعية الانتاج وزيادته((عبد الاله، ٢٠١٤) .

اما عن الية ذلك التدخل ومدى اثره على الفلاح الحلبي فظهر واضحا عندما شجعت افراد جاليتها ممن امتلك رؤوس اموال على تهيأة كل متطلبات الانشطة الزراعية لفلاحي الولاية، شريطة تحديد زراعتهم بمحاصيل معينة ذات جودة عالية، بعد ان سلفتهم مبالغ استثمار الارض، متبعين في ذلك الاساليب الربوية التي حققت لهم منفعة مالية، فضلا عن تحقيق مصلحة دولتهم في الحصول على تلك المكاسب، وقد تبين ذلك بشكل واضح في عدد من الوثائق العثمانية، اذ ذكر في احدى الوثائق الصادرة عام ١٨٤٣ما قام به عدد من افراد الجالية الفرنسية الى التعامل مع الفلاح مباشرة عن طريق تسليفه مبلغا من المال في زراعة محاصيل زراعية، وكان من بينهم التاجر الفرنسي ارتوس(Artos) الذي سلف عددا من مزارعي حلب لزراعة محصول القمح (O.A,HR.MKT642/38) والتاجر الفرنسي الموسي ارتو(Almosi Arto) الذين سلف عددا من الفلاحين من اجل زراعة محصول القطن (O.A,A.MKT.MHM 410/91) ، وصدر قانون الاراضي في ٢١نيسان عام ١٨٥٨ الذي شجع على تدخل الرأسمالية في الزراعة عندما اجبر الفلاح على تأجير ارضه مقابل مبالغ عالية بدلا من شرائها، مما اثقل كاهل الفلاح واضطره الى اللجوء الى الاجانب في توفير مستلزماته الزراعية (فلاديمير، ١٩٨٥، صفحة ١٤٩) .

وما امتلكه التجار الفرنسيون من ثراء مالي مكنهم من التدخل ليس في شؤون الفلاح فقط بل حتى التدخل في مالية حكومة الولاية، وظهر ذلك بشكل واضح في احدى الوثائق الصادرة من والي حلب محمد عصمت باشا[١] (، في اب عام ١٨٦١وضح فيها الشكوى المقدمة من قنصل فرنسا حول ما قام به مسؤول المال في ولاية حلب رائف بك من الاقتراض من التاجر الفرنسي وبر (Wober) وعدم رد القرض المذكور (O.A),A.MKT.UM458/98)) .

تطلع رعايا فرنسا بعد ان اصبحت لديهم السطوة على ذلك النشاط اثر استثمار رؤوس اموالهم الى محاولة فرض سيطرتهم ليس على نشاط الفلاح بل حاولوا استغلال ذلك في فرض ملكيتهم على الاراضي الزراعية في تلك الولاية، التي ما لبثت ان اصطدمت بالنظام الاداري للدولة العثمانية، اذ امتنعت الدولة العثمانية عن منحهم صكوك ملكية تثبت ملكيتهم لتلك الاراضي، وكثيرا ما كانت تقام دعاوى في سبيل

---

(١) عين واليا على حلب عام ١٨٦١بعد الوالي اسماعيل باشا، استمرت ولايته حتى عام ١٨٦٣ (ا، د.ت، صفحة ج٣ ،٣٨١))

الحصول على ضمانات ملكية الا انها لم تنصف افراد تلك الجالية، ولاسيما ان الدولة هي من كانت تتولى بيعها الأمر الذي رافقه بقاء مساحات واسعة من الاراضي دون استثمار اثر تلك النزاعات (شارل، ١٩٩٠، صفحة ١١٢) (قبها،مجدي،واصف،محمد، ٢٠٢٠، صفحة ٢٠٤؛ فلاديمير، ١٩٨٥، صفحة ١٤٩) ، إذ استمر ذلك حتى صدور قانون عام ١٨٦٧الذي سمح للأجنبي حق امتلاك الاراضي في الدولة العثمانية، ونظّم أحوال الطوائف والجنسية في الدولة العثمانية (قبها،مجدي،واصف،محمد، ٢٠٢٠، صفحة ٢٠٤؛ فلاديمير، ١٩٨٥، صفحة ١٤٩ .

الا انه لا يفوتنا بالذكر ان اكثر من تأثر بتلك الاجراءات هم المسلمون من المجتمع الحلبي، بعد ان امتهن اغلبهم حرفة الزراعة، بينما كان نشاط فئات الطوائف الاخرى محدود لاسيما النصارى بسبب استقرارهم بالمدن وبعد سكنهم عن الارياف، وظهر ذلك بشكل واضح من خلال ما ذكره القنصل البريطاني في ولاية حلب سكين عندما قال : **((ان كل الملاك في الريف من المسلمين. وغالبية التجار في المدن المسيحيين، وجميع الزراع في الغالب من المسلمين، واما الجانب الاكبر من الصناع فهم مسيحيين))** نقلا عن: (محمد ا.، ٢٠٢١).

يتضح مما سبق ان من تأثر بتلك الاجراءات هم المسلمون والسبب في ذلك انهم اعتمدوا بشكل رئيس على الزرعة بينما كان اعتماد الطوائف الاخرى على انشطة اقتصادية أخرى ولاسيما التجارة والصناعة.

لم يشهد الانتاج الزراعي استقرارا في ظل تلك الاحوال وما مرت به الدولة العثمانية والدول الاوربية من تطورات، اذ كان للحروب التي كانت الدولة العثمانية جزءا منها النصيب الاكبر في تحديد نوعية المحصول وكميته من قبل تلك الدول ولاسيما فرنسا، فعلى سبيل المثال ما اكتسبه محصول القطن من اهمية في النصف الاول من القرن التاسع عشر ولاسيما العقد الاخير سرعان ما تلاشت بعد ان دخلت الدولة العثمانية في حرب القرم، اذ اولت فرنسا اهتمامها بالغلال على حساب القطن ابان تلك الحرب مما دفعهم على العمل على زيادة انتاجه في ولاية حلب، الا ان انتاجه عاد مرة ثانية الى التراجع بعد ان ظهرت الحرب الاهلية الامريكية[١] (American civil war)، لذا شجعت فلاحو ولاية حلب على الاهتمام به لحاجة اسواقها الماسة لها مما شجعهم الى زراعته بكثرة مجددا ، اذ تضاعف انتاجه الى (١٠) اضعاف ما كان عليه في عام ١٨٥٧–١٨٥٨ اذ كان لفرنسا دور في زيادة انتاجه والتي كانت سببا في رواج زراعته في ولاية حلب (شارل، ١٩٩٠، الصفحات ٤٥٨–٤٥٩) .

---

(١) نشبت بين الولايات الامريكية والجنوبية في ١٨ نيسان عام ١٨٦١، وكان لتلك الحرب اسباب اهمها ما ساد تلك الولايات من اختلاف في النشاط الاقتصادي الذي اربك العلاقات بين تلك الولايات، انتهت بهزيمة الولايات الجنوبية في ايار عام ١٨٦٥. (W.Gallager, 2002)

اما عن النشاط الزراعي في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) ومدى تدخل الاجانب فيه فكانت لا تقل وطأة عما كانت عليه في المدد السابقة، ولاسيما بعد ان عانت الدولة العثمانية إفلاس خزينتها مما اضطرها الى الاقتراض من الدول الاوربية لسد العجز المالي الذي مرت به، وبذلك فسحت المجال للدول الاوربية للتدخل في شؤونها ولاسيما في مجال الزراعة، اذ اجبرت الدولة العثمانية على تسديد الديون التي كانت بذمتها عن طريق السيطرة على عدد من مصادر الانتاج والتي كان من بينها ريع الاراضي الذي كان جزءا اساسيا من مكونات دخلها القومي ، لاسيما ان اغلب من اسهم في منح القروض للدولة العثمانية كانوا من الجالية الفرنسية ولاسيما اليهود الذين وصلت فوائدهم بنسب وصلت الى (١٢%) واحيانا وصلت الى من (٢٠-٣٠%) (دكران، ٢٠١٠، صفحة ١٢٩؛ الغالي، ٢٠١١، صفحة ١١٩) .

ثالثا/ دور الجالية في الحرف والصناعات .

كانت حلب من ولايات بلاد الشام التي اشتهرت بالحرف والصناعات المتعددة التي جاءت نتاج ما امتلكته تلك الولاية من متطلبات انتاج السلع التي ارتبطت بوجود المادة الاولية واليد العاملة التي تميزت بالمهارة لدى سكانها ، اذ عملت فيها جميع الطوائف من مسلمين ونصارى (عائشة، ١٩٧٢، صفحة ٣٩)، ولاسيما انها من الولايات التي ظهر فيها ما سمي (المانيفاتورة)[١] ، ، التي اوضح اهميتها الاقتصادي ادم سميث (Adem smith) من خلال ما ذكره في قوله:((**ان سكان المدن التجارية استوردوا من الاقطار الاكثر غناء البضائع المتأنقة لإنتاج المعامل (المانيفاتورة) وسلع الترف ذات الاسعار الباهظة، وبهذا غذوا عجرفة كبار الملاكين الذين ابتاعوا هذه البضائع بشره ودفعوا ثمنها بكميات كبيرة من خامات محاصيل اراضيهم)** نقلا عن: (فلاديمير، ١٩٨٥، صفحة ٢٣)).

ضمت تلك الولاية في العقد الاول من القرن التاسع عشر حوالي (١٢) حرفة، و(١٠٠) مصنع لنسج الخيوط، فضلا عن عدد من المصابغ والمدابغ (علي، ١٩٢٣، الصفحات ٢١٦-٢١٧) وكان للفرنسيين دورهم فيها ولاسيما انهم جزء من النسيج الاجتماعي، اذ كان لهم باع في عدة حرف اهمها بيع الاثواب وصناعتها التي لاقت رواجا في السوق ولاسيما الالبسة النسائية والرجالية التي حملت اوسمة افرنجية، بعد ان بدأ المجتمع الحلبي بالميل الى ارتداء الملابس التي كانت على الطراز الاوربي (الكريم، ١٩٦١، الصفحات ١٤٦-١٤٧)

---

(١) ويقصد بها مكان مخصص للعمل لعدد من العمال لإنتاج نوع او انواع من سلع، وعد ذلك المكان مثالا للتعاون وتقسيم العمل بينهم (محمد ا.، ٢٠١٣، صفحة ١٩٠))

في تلك الاحوال اخذت الاسواق الحلبية تعج بالبضائع الاوربية، اذ فتحت اعداد من المحلات التجارية التي اختصت ببيع البضاع الفرنسية، وقد ورد في احدى الوثائق التاريخية العائدة للمحكمة الشرعية في حلب عن وجود بضائع من اقمشة فرنسية في محلة حمزة بيك والتي حددت بأسعار وصلت الى (٤٠) قروش للقطعة الواحدة (وثائق المحاكم الشرعية بحلب، ١٣١٢هـ/١٨٩٥م)، واطلق على تلك الاقمشة مصطلح الاقمشة الافرنجية[١]، التي اشتهرت بها ولاية حلب والتي لاقت رواجا بين مختلف شرائح المجتمع الحلبي، وكان سبب اقبال الافراد عليها لما امتازت به من زخرفة جميلة ورخص في ثمنها، الا انها لم تكن ذات متانة اي انها من السلع سريعة التلف، وان اللافت للنظر ان تلك السلع لم تقتصر على مدينة حلب، بل انتقلت الى مناطق الولاية كافة ومنها عينتاب ومرعش، فضلا عن صناعات اخرى التي اشتهروا بها كان اهمها ثياب الكتان والشراشف، والتي حاول عدد من الصناع في الولايات العربية منافستها ولاسيما في دمشق عندما تولى عدد منهم صناعة تلك المنتجات ابرزهم توفيق كامل وسعيد كحالة (كرد، ١٩٧١، الصفحات ج٤ ٢٠٣-٢٠٤).

اصبحت السلع الاوربية منافسة للمنتجات المحلية، ولاسيما انها كانت ذات تكلفة اقل مما خفض اسعرها في السوق وازداد الطلب عليها، وقد ذكرت مجلة المقتطف في احد مقالاتها لحماية الصناعات المحلية ما كان يقوم به الاوربيون من دمج خيوط القطن والصوف والحرير واضافة مواد كيمائية عليها لتكون اكثر وزنا (عبد الاله، ٢٠١٤، صفحة ٢٦٩)، ولم يكن ذلك العائق الوحيد امام الصناعات والحرف المحلية التي اشتهر بها بل كانت السياسة التي اتبعتها الدولة العثمانية لاسيما في الجوانب الاقتصادية ذات اثر، فما فرض عليهم من ضرائب فردية فضلا عن اجبارهم على الالتحاق بالتجنيد الاجباري مقابل ما تمتع به الاوربيون القاطنون في حلب من امتيازات، ولاسيما ان ما اتبعته السلطات العثمانية من اعتماد ازياء جديدة مثل الطربوش الذي اعتمده المسيحيون عام ١٨٤٤، اذ عد ذلك اللباس من الازياء الاوربية التي اهتم بها السكان من غير المسلمين ولاسيما النصارى مما شجع الصناع الاجانب لممارسة صناعة الاقمشة بحرية اكثر، بل غزت منجاتهم الاسواق الحلبية في ظل عجز المنتج الحلبي((دانيال و ماسترز، ٢٠٠٤، الصفحات ٢١٠-٢١١).

كان لسياسة الدول الاوربية تجاه رعاياها في الولايات العربية دورها في رفع قدرته الانتاجية من خلال استخدام جميع الامتيازات الاجنبية التي حصلوا عليها، والتي كانت لصالح الاجانب ومنتجاتهم بعد ان استغلت ضعف الدولة العثمانية ولاسيما في العقود الثلاثة الاخيرة من القرن التاسع عشر مما جعل المنافس الاوربي متفوق تقنيا في انتاج سلعته وبسعر اقل (احمد ط.، ١٩٨٥، صفحة ٣٦٨)، ففي عام ١٨٧٠

---

(١) الافرنج: مصطلح اطلقه سكان بلاد الشام على الاوربيين، والمقصود بهم الاوربيين المقيمين من فرنسيين وبريطانيين، وهولنديين، وايطاليين (عبدالله، ١٩٦٩، صفحة ٢٧)

شهدت الصناعة الفرنسية في حلب رواجا لما امتازت به من رخص في اسعارها بعد ان اعتمدت المكننة في الانتاج مقارنة بالصناعات الحلبية التي كانت اسعارها اكبر نظرا لاعتمادها على المهارة اليدوية والتي كانت ذات مواصفات افضل، ولاسيما في صناعة المنسوجات الحريرية والقطنية (شارل، ١٩٩٠، الصفحات ٥٦٤-٥٦٥).

وكان من النتائج التي ترتبت على انتعاش الصناعات الفرنسية في بلاد الشام لاسيما الاقمشة ان اضرت بالصناعات المحلية بنسبة كبيرة، بل وصلت تلك الصناعات في ظل تلك المنافسة الى الاندثار، عندما تحول اصحاب تلك الصناعات من السكان الاصليين ليس في حلب فقط بل في كل ولايات بلاد الشام الى بائعي شرانق الذين اصبحوا بمثابة حلقة الوصل بين الدول الاوربية والتجار المحليين، فضلا عن توقف عدد من الصناعات الاخرى التي اشتهرت بها تلك الولاية منها صناعة الشقق الحريرية والقطنية، التي كانت عبارة عن قطعة من القماش المغزول التي يبلغ طولها (٩) اذرع وعرضها(١) ذراع والتي كانت لباسا للأهالي وقد اشتهرت في ولايات عربية متعددة منها حلب، الا ان تلك الصناعات ما لبثت ان اندثرت نتيجة ظهور الصناعات الاوربية ولاسيما ما انتجه الفرنسيون، ومن الصناعات الاخرى (الكمار) وهو نوع من مشدات على الخصور غزلت من الاصواف وقد استخدمت تمييزا لهم عن الاوربيين (وجيه، ١٩٨٧، صفحة ٤٨؛ محمد ا.، ٢٠٢١، صفحة ١٨١؛ صياغة، ١٩٩٥، صفحة ١٥٤).

الخاتمة :

توصلت الدراسة الى النتائج الاتية:-

١. إن للجالية نشاط مميز في مختلف المجالات الاقتصادية (التجارية، الزراعية، الصناعية) .
٢. كان نشطاها الاقتصادي خاضع لتخطيط وتنظيم الحكومات الفرنسية وبما يخدم مصالحها ولاسيما في الاوقات الت تعرضت فيها فرنسا لحروب وازمات .
٣. استمرت الجالية في ممارسة انشطتها الاقتصادية على الرغم من الظروف العصيبة التي مرت بها الولاية من كوارث طبيعية، واوبئة وامراض، فضلا عن الحروب التي اشتركت به الدولة العثمانية .
٤. اعتمدت الجالية على عدد من سكان حلب في انشطتها الاقتصادية عندما ضمتهم الى صفوفها او تحت حماية قناصلها للعمل معها بصفة وكلاء او مترجمين .
٥. كان للنشاط الاقتصادي الذي مارسته الجالية اثار سلبية على اصحاب الحرف والصناعات المحلية بعد ان اصبحت المنافس الاول لهم في ظل ما منحت من امتيازات .

References:

1. A.Howard, D. (2017). *a history of the Ottoman empire.* Camridge: University printing house.
2. Aintabi, Muhammad, Fouad, and Najwa Othman. (1993). Aleppo in a Hundred Years 1850-1950. Aleppo: University of Aleppo .
3. Al-Arid, Walid Subhi. (1997). History of Privileges in the Ottoman Empire and its Effects. Volume (1), Issue (24). Jordan: Journal of Humanities and Social Sciences Studies, University of Jordan .
4. Al-Awad, Muhammad. (June, 2020). Ottoman Ambassador to France at the Beginning of the Nineteenth Century. Dhakha'ir Magazine, p. 385 .
5. Al-Dabbagh, Aisha. (1972). The Intellectual Movement in Aleppo in the Second Half of the Nineteenth Century and the Beginning of the Twentieth Century. Beirut: Dar Al-Fikr .
6. Al-Gharbi, Al-Ghaly. (2011). Studies in the History of the Ottoman Empire and the Arab East 1288-1916 (Volume 2). Algeria: Diwan Al-Matbouat .
7. Al-Hasani, Ali. (1923). Economic History of Syria. Damascus: D, M .
8. Al-Hasani, Hussein. (1914). History of Europe in the Nineteenth Century. Cairo: Dar Al-Kutub Press .
9. Ali, Muhammad Kurd. (1971). Plans of the Levant. Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah .
10. Ali, Muhammad, Mabrouk. (2020). French commercial activity in the Mediterranean in the eighteenth century AD. Journal of Middle East Research .
11. Al-Jabouri, Taha Khalaf Muhammad. (2013). Britain and the Levant, an Economic and Political Study 1860-1876. PhD Thesis (Unpublished). College of Education for Humanities, Tikrit University.
12. Al-Mustafa, Abdul-Ilah. (2014). European Politics and Its Development in the Levant (1840-1878). Master's Thesis (unpublished). Faculty of Arts and Humanities, University of Damascus .
13. Al-Naqqash, Hassan. (2024). The Politics of Damascus Scholars: Questions of Reform, Identity and Arabism 1516-1918. Amman: Arab Center for Research .
14. Al-Nawasra, Qasim Muhammad Ahmad. (n.d.). The British-French Position on Egyptian Rule 1247-1256/1831-1841, PhD Thesis, p. 52. Faculty of Arts, Yarmouk University .
15. Al-Tabbakh, Muhammad Raghib A. (n.d.). Notable Nobles in the History of Aleppo Al-Shahba. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah .
16. Al-Ubaidi, Nimah, Abdul Khaliq, Jassim, Muhammad. (2021). Religious Minorities in the Levant and Their Impact on Ottoman-European Relations 1841-1914. Tikrit, Iraq: College of Education for Humanities, Tikrit University, PhD thesis (unpublished) .
17. Documents of the Sharia Courts of Aleppo. (2 Safar, 1312 AH/1895 AD). Document (published), Record 328/ Document 174. Aleppo, Syria
18. Esaile, C. (2001). *The French Wars Mark Mclaighlin, The Napoleonic Wars1815.* London: Routledge.
19. Fulya Düvenc, İ. (2013). yüzyil sonunda halep'te İngİlİz belgelerİne göre toplum, yönetİm ve konsoloslar19 arasindakİ. *U.Ü. Fen-EdebİyaT FaküLtesİ sosyal bİlİmler dergİsİ*(24).

20. Ghraibeh, Abdul Karim. (1961). Syria in the Nineteenth Century 1840-1876. Cairo: Institute of World Arab Studies .
21. Goffman, Adham Al-Dam, Daniel, and Bruce Masters. (2004). The Ottoman City between East and West Aleppo Izmir Istanbul. Riyadh: Al-Obeikan Library .
22. Issaoui Charles. (1990). The Economic History of the Fertile Crescent 1800-1914. Beirut: Center for Arab Studies and Unity.
23. Issawi, Charles. (1990). The Economic History of the Fertile Crescent 1800-1914. Beirut: Center for Arab Studies and Unity .
24. Jabr, Baida, Alawi, Shamkhi. (2016). British Commercial Activity in Aleppo during the Nineteenth Century. Studies in History and Archaeology, Faculty of Arts, University of Baghdad (52).
25. Karakose, H. (2017). Halap te sosyal Ekonomik vekulturel durum(1876-1918yillari arasi). *Uiuslarasi Soyal Arastimalar Dergis*.
26. Kawtharani, Wajih. (1987). Social and Political Trends in Mount Lebanon and the Arab East 1860-1920 AD. Beirut: D.R .
27. Kopelian, Bishop Abraham. (2008). The Revolution of the Aleppans against the Ottoman Governor Khurshid Pasha (1819-1820). Aleppo, Syria: Publications of the Armenian Catholic Archdiocese.
28. Lutsky, Vladimir. (1985). Modern History of Arab Countries (Volume 8). (Afifa al-Bustani, Translators) Beirut: Dar al-Farabi .
29. Nayef Sayyagh. (1995). Economic Life in the City of Damascus in the Mid-Nineteenth Century. Amman: Dar Hamed for Publishing and Distribution .
30. O.A,A.MKT.MHM410/91. (n.d.).
31. O.A,A.MKT.UM458/98. (n.d.)
32. O.A,HR.MKT.833. (n.d.).
33. O.A,HR.MKT/354/46. (n.d.)..
34. Osmanli Arsivi,HR.MKT345/3
35. O.A,HR.MKT642/38. (n.d.)..
36. Qabha, Majdi, Wassef, Muhammad. (2020). The Economic and Social Life of the German Community in the Jerusalem District (1876-1918 AD / 1248-1336 AH). Palestine: College of Graduate Studies, An-Najah National University, Master's Thesis (unpublished).
37. Qastoun, Wadih Abdullah. (1969). The Franks in Aleppo in the Eighteenth Century. Aleppo: Al-Dad Press .
38. Qushaqji, Father Youssef. (1989). News of Aleppo as written by Naoum Bakhash. D.M.: D.R .
39. Salem, Latifa, Muhammad. (1990). Egyptian Rule in the Levant 1831-1841. Cairo: Madbouly Library .
40. Sarko, Mary, Dakran. (2010). Damascus during the period of Sultan Abdul Hamid II 1876-1908 AD / 1293-1325 AH. Damascus: Ministry of Culture .
41. Snow, Abdul Raouf. (1987). German interests in Syria and Palestine 1841-1901. Beirut: Arab Development Institute .
42. Tarbin, Ahmed. (1985). History of the Contemporary Arab East. Damascus: D, R .

43. Vert, Gaweh and Oeven Vert. (2007). Aleppo Historical, Geographical and Urban Studies. Damascus: Ministry of Culture .

44. W.Gallager, G. (2002). *The American civil wa.* United State of America: The teaching company.

45. Wirth, E. (1991, Année,). Alep dans la première moitié du XIXe siècle: un exemple de stabilité et de dynamique dans l'économie ottomane tardive. *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*.